

دور القرآن في توحيد المجتمع في نظرة العلامة الطباطبائي

سيدمهدى سطلاني رناني*

تاريخ الوصول: ٩٢/٩/٥

محمد رضا حاجي اسماعيلي**

تاريخ القبول: ٩٣/٣/٧

محمد رضا ستوده نيا***

سيدمهدى لطفى****

الملخص

من وجهة نظر العلامة الطباطبائي يعتبر بناء ونشر الوحدة الاجتماعية أحد الأدوار الاجتماعية للقرآن الكريم. فيعتبر العلامة الطباطبائي الوحدة سبباً للعزة واقتدار الأمة الإسلامية، وقد ذكر الوحدة كنعمة خاصة من الله سبحانه وتعالى. وقد عدت مهمة القرآن في هذا المجال التخطيط للعمل لبسطها. فلا تنحصر تلك المهمة على الشعارات والتوصيات فقط. ويعتقد بأن القرآن إضافة إلى التخطيط والترسيخ لأسباب الوحدة، يشير إلى أسباب التفرقة كافة اجتماعية لهذا المهمة ويحارب أسباب الخلاف ويقدم حلاً مملوفاً وذات مصداقية لدفع هذه الآفات. تبين هذه الدراسة معتمدة على آراء العلامة الطباطبائي في تفسير «الميزان»، مدى الأهمية ومكانة الوحدة الاجتماعية في حياة الإنسان وقد ناقشت مهام القرآن في هذا المجال وأسباب التفرقة والحلول للتخلص منها.

الكلمات الدليلية: الاجتماع، الوحدة الاجتماعية، الأمة الإسلامية، تفسير الميزان، التفرقة، الاختلاف، الأخوة، المجتمع الإسلامي.

* طالب الدكتوراه في فرع علوم القرآن والحديث في جامعة اصفهان (المقالة المقبسة من اطروحة الدكتوراه).

smahdi.soltani224@gmail.com

** الاستاذ المشارك في كلية الآداب و العلوم الانسانية بجامعة اصفهان، فرع علوم القرآن والحديث.

m.hajis1@yahoo.com

*** الاستاذ المشارك في كلية الآداب و العلوم الانسانية بجامعة اصفهان فرع علوم القرآن والحديث.

bayanelm@yahoo.com

**** الاستاذ المساعد في كلية الآداب و العلوم الانسانية بجامعة اصفهان فرع علوم القرآن والحديث.

الكاتب المسؤول: سيدمهدى سطلاني رناني

المقدمة

تعتبر الوحدة الاجتماعية غاية سامية لكل مجتمع إسلامي وإنساني. ولا يخلو قلب كل مسلم يحب شعبه عن أمل تحقيق هذه الغاية. وتعد حجر الأساس الذي يؤمن قوام حياة الإنسان ويؤدي إلى بناء أمة موحدة، شاملة، معتدلة، مثالية وخاضعة للحق وباسطة للعدل. يدل على هذا الأمر العقل وناهيك عن ذلك تدل عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية وسيرة الأئمة للمذاهب. يدعو القرآن الكريم الأمة الإسلامية إلى الوحدة ويشير إليها كنعمة إلهية (آل عمران / ١٠٥-١٠٣).

لقد أكدت على الوحدة الاجتماعية كثيرا من أحاديث المعصومين وأشير إلى الأدوار العملية لها. يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحَمَى» (رازي، ١٣٧٥: ج ٢، ٤٥٠، في شرح الآية ١٠٣ آل عمران؛ مجلسي، ١٤٠٣: ج ٧٤، ٢٧٤؛ متقى هندی، ١٣٩٩: ج ١، ١٤٣).

لقد ذكر العلامة الطباطبائي الوحدة الاجتماعية على أنها القوة والآلة الرئيسيتين وأمر منشود في حياة الإنسان. ويعتبر من وظائف الوحدة نشر التعاون الاجتماعي، إزالة الفرقة والخلاف من المجتمع، بسط روح الأخوة، إيجاد روح المحبة والرحمة، نشر الأمان والسكينة والدفاع عن قوة وسيطرة المجتمع الإسلامي. وكذلك يعتبر زوال هذا المحور القرآني الهام سببا لازدياد الخلافات، ضعف العزائم والقضاء على العزة المعنوية للإنسان (العلامة الطباطبائي، ١٣٨١: ج ٣، ٢٤٣-٢٤٢ و ج ١٧، ١٥١).

أهم الأسئلة الرئيسية التي تدور حولها هذه الدراسة هي:

١. ما أهمية ومكانة الوحدة الاجتماعية في حياة الإنسان باعتبارها دوراً مرغوباً به؟

٢. ما دور القرآن في الوحدة الاجتماعية في حياة الإنسان؟

٣. ما أسباب الفرقة والخلاف في المجتمع الإسلامي وما الحلول لإزالتها؟

تمت هذه الدراسة بأسلوب الوصفي - التحليلي معتمدة على آراء العلامة الطباطبائي في تفسير «الميزان». وقد جمعت مواد وبيانات هذه الدراسة من خلال قراءة الكتب وتحليلها.

شرح المفاهيم الرئيسية

الدور

هذه المفردة مأخوذة من مفردة «function» الإنجليزية وتعنى أداء مهمة؛ وفى العربية لها مترادفات مثل الدور والعمل والخدمة والوظيفة. وتأتى فى علم الحساب بمعنى الدالة الرياضية. وفى علم الاجتماع تأتى بمعنى الدور الذى يتولاه عضو أو جزء من الكل وسيؤديه. وكذلك تأتى بمعنى الأثر الذى تتركه كل ظاهرة من سلسلة ظواهر ترتبط بهذه الظاهرة (ساروخانى، ١٣٧٠: ٣٠٤-٣٠٣).

الوحدة

هذه المفردة مأخوذة من جذر «وحد» و «يحد»، «حده» و «واحداً» وتعنى تَوَحَّد وأَحَادِيَّةً وَفَرْدِيَّةً (ابن فارس، ١٣٨٩، ج ٦، ٩٠؛ دهخدا، ١٣٧٣: ج ١، ٨٤٤). قد أشار راجب إلى أن مفردة «الوحدة» مأخوذة من مفردة «الواحد». والواحد فى الواقع شىء لا يتكون من أجزاء أبداً وبعد ذلك أطلقت مفردة «الواحد» على كل شىء ويوصف بالوحدة (راجب الاصفهاني، ١٤١٢: ٧٥٧). المفهوم التحليلي لهذه المفردة يدل على اتحاد الشئيين أو أكثر، وبعبارة أخرى يكمن فى مفهومها توحيد الألوان وتوحيد الآراء وتوحيد المسار.

العلامة الطباطبائي يعرف الوحدة بالتوحيد الاجتماعى الذى يؤدى تحققه إلى الآثار الايجابية فى العلاقات بين الناس ويسفر عن الاحترام المتبادل بينهم. كذلك فإن تحققه يمنع الطموح إلى تحقيق بعضهم أفضلية على بعضهم الآخر ويمنع العنصرية. يعبر العلامة فى موضع آخر عن هذه المفردة فى إطار الأمة وبنظرة اجتماعية ويقول: الأمة التى تحظى بالوحدة الاجتماعية هى الأمة التى شعبها ذو هدف واحد ومقصد واحد وهذا المقصد الواحد يبنى علاقة واحدة بين الأشخاص (نفس المصدر، ١٣٨١: ج ٢، ١٨٥).

وهذه العلاقة ودعوة القرآن إليها بعيدة عن الجهل والتقليد الأعمى. وفى الواقع هى الاعتماد على القواسم المشتركة بدلا عن المفارقات (نفس المصدر، ج ٦: ٢٨٠). تعنى الوحدة الاجتماعية بين المسلمين تجنبهم عن الازدواجية والخلاف. وكذلك تعنى وقوفهم فى صف واحد ضد أعدائهم المشتركين. وهذه الوحدة تنبع عن البشرية والميل إلى الجماعة (مطهرى، ١٣٨٠: ج ٢، ٢٠٥).

أهمية ومكانة الوحدة الاجتماعية في حياة الإنسان

من النظرة القرآنية لا شك في أهمية ومكانة الوحدة الاجتماعية في حياة الإنسان. ويمكن أن نقول بحزم إن أحد أدوار القرآن في حياة الإنسان والذي تم التأكيد عليه أكثر من كل شيء آخر، هو الوحدة الاجتماعية، و سبب ذلك يعود إلى:

١. الإنسان كائن اجتماعي ويعيش في المجتمع ولا يمكنه تحقيق الكمال، نيل الفضائل الإنسانية، الحصول على المنافع الشرعية والدفاع عنها وكذلك الاستمتاع بالنعم الإلهية إلا في ظل الوحدة الاجتماعية (الطباطبائي، ١٤١٧: ج ٢، ١٨٢؛ حكيم، بي تا: ٢٩).

٢. الإنسان بطبعه يمضي نحو الخلاف ومن جانب آخر يسير نحو الحضارة والاجتماع وبما أن فطرة الإنسان تؤدي إلى الخلاف فلا يمكن للإنسان أن يمنع فطرته من ذلك. لذلك فإن الله ومن أجل إزالة الخلاف والحفاظ على الوحدة أرسل الرسل ووضع القوانين وأرشد الإنسان إلى الكمال الذي يليق به ليحظى الإنسان في ظل ذلك بالسعادة الحقيقية لنفسه (الطباطبائي، ١٤١٧: ج ٢، ١٨٣).

٣. الوحدة الاجتماعية تؤدي إلى انسجام أفراد المجتمع في المقصد والهدف فبهذا السبب تطلق الأمة الواحدة عليهم. لأنهم يعيشون ببساطة ودون شجار فلن يوجد أي خلاف بينهم في المذهب والعقيدة (راجع: المصدر السابق، ١٣٨١: ج ٣، ٢٣٧-٢٣٦).

٤. زوال الوحدة الاجتماعية يؤدي إلى الوهن وعدم الرغبة وعدم تحمل المسؤولية حيال أداء الواجبات الاجتماعية، والقيام بالأدوار الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ويقضى على اقتدار المجتمع الإسلامي. وكذلك تسفر عن زوال أهمية القيم المشتركة وإن الرقابة الاجتماعية ستفقد بذلك تأثيرها.

في مثل هذه الظروف ينهار أساس المجتمع وتتفكك الحياة الاجتماعية فيعاني المجتمع من الفوضى. تتلاشى الوحدة ويختفى النظام من المجتمع وتخرج حياة الإنسان عن اتزانها وتتأزم ويعاني الناس من النتائج السلبية في الدنيا والعذاب الكبير في الآخرة (الطباطبائي، ١٣٨١: ج ٣، ٥٧٥-٥٦٩؛ جوادى آملی، ١٣٨٩: ٢٤٩ و ٣٨٠-٣٧٩).

٥. العديد من الآيات القرآنية (راجع: آل عمران / ١٠٣؛ انفال / ٤٦) يشير إلى أن الوحدة الاجتماعية التي تبنى على أساس العقائد والتقاليد المشتركة هي مبدأ إلهي يؤدي إلى السعادة للمجتمعات في الدنيا والآخرة، ويعرض على الإنسان كيفية التعايش مع الآخرين

رغم وجهات النظر المختلفة. بينما يؤدي حب النفس والتكبر وإثارة بعض الخلافات في وجهات النظر إلى إزالة الانسجام الاجتماعي وضعف بنية المجتمع والقضاء عليه نهائياً (راجع الطباطبائي، ١٣٨١: ج ٦، ٢٨٢-٢٨٠).

الأدوار القرآنية في الوحدة الاجتماعية

تنمية التعاون الاجتماعي

من أدوار القرآن في الوحدة الاجتماعية نشر التعاون الاجتماعي وتعاون الناس مع بعضهم. حسب وجهة النظر الإسلامية فإن أعضاء المجتمع الإسلامي هم أعضاء جسد واحد (الكليني، ١٣٦٥: ج ٢، ١٦٥) ويشارك بعضهم البعض في الهموم ويجب عليهم أن يتكاتفوا ليحلوا المشاكل بالتعاون.

إن الله يدعو الجميع في القرآن الكريم إلى التعاون والمشاركة في الخير والتقوى وعدم التعاون في الإثم والعدوان (المائدة/ ٢) ومن جانب آخر ينتقد ضعف وخمول بعض المسلمين في إحقاق الحقوق للمحرومين والمشردين من أوطانهم ويعاتبهم قائلاً:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ (نساء/ ٧٥)

من مصاديق الأدوار القرآنية في الوحدة الاجتماعية من أجل تنمية التعاون في المجتمع الإسلامي وحياة الإنسان: إلقاء التحية على كل مؤمن عند زيارته (انعام/ ٥٤)، رد التحية بأفضل أسلوب حتى أثناء الصلاة (الكليني، نفس المصدر، ج ٣: ٣٦٦)، الحضور الفعال في الاجتماعات الدينية مثل صلاة الجماعة والجمعة ودفع الزكاة (بقره/ ٤٣)، الالتزام نحو الأقارب والجيران من أي شعب أو دين كانوا (النساء/ ٣٦)، حب الخير والتعبير عن أخلص الأمانى القلبية وطلب الرحمة والمغفرة من الله لإخوته المؤمنين (الحشر/ ١٠؛ إبراهيم/ ٤١).

العلامة الطباطبائي في تفسير الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران خلال شرح الواجبات

الاجتماعية المتعلقة بتنمية التعاون في المجتمع الإنساني يشير إلى الملاحظات التالية:

١. في إطار المجتمع تؤدي الوحدة والتعاون الاجتماعي إلى توحيد القدرات الفردية وتسفر عن قوة هائلة. ويجب على الإنسان في كافة الظروف والأزمنة أن يجمع قدراته المعنوية ويرتب شؤون حياته في ظل التعاون الاجتماعي.

٢. نظراً إلى أن التعاون الاجتماعى يهدف إلى الحصول على السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة، ورد فعل «رابطوا» فى تلك الآية مباشرة بعد جملة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. ليدل ذلك على أن السعادة الكاملة والحقيقية لا تتحقق إلا فى ظل التعاون الاجتماعى.

٣. الأمر بتأسيس المجتمع والتعاون الاجتماعى على أساس الاتحاد والتوحيد، يؤدى إلى الحفاظ على المصالح المادية والمعنوية والدفاع عن المجتمع الإنسانى (الطباطبائى، ١٣٨١: ج ٧، ١٥٨-١٥٤).

تحرير المجتمع من التفرقة والاختلاف

للعلامة الطباطبائى حول هذا الدور وجهة نظر عميق ووافى للانتباه فى علم الاجتماع. العلامة فى البداية يقوم بتحليل كيفية حدوث الخلاف بين الناس وثم يبين الحلول التى تسفر عن تقليل الخلاف وإصلاحه. وبعد ذلك، حول كيفية نشوء الخلاف يقول: «لكل إنسان نزعة تدفعه إلى توظيف الآخرين واستغلالهم».

الآن إذا أضفنا إلى ما سبق هذه الملاحظة بأن الأشخاص بالضرورة يختلفون فى الخلق ومنطقة الحياة والعادات والأخلاق التى تنبع عن الخلق ومنطقة الحياة، نستنتج من ذلك أن اختلاف الشرائح يهدد دائماً العدالة الاجتماعىة والمجتمع الصالح، ويريد كل قوى استغلال الضعيف ويعطى الضعيف أقل مما يأخذ منه.

والأسوأ من ذلك أن الغالب يريد استغلال واستبعاد المغلوب دون يدفع له شيئاً، وبالتالي يُجبر المغلوب بالضرورة على أن يلجأ إلى الخدعة والمكيدة ضد الغالب إلى أن يحصل على القدرة وينتقم من الظالم أشد الانتقام بسبب ظلمه. إذن فإن نشوء الخلاف سيؤدى فى النهاية إلى الفوضى ويقضى على البشر. مما يعنى أنه يسلب الإنسان فطرته ويفسد سعادته وتشير الآية التالية إلى هذه القضية: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ الْأُمَّةَ وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ (يونس، ١٩) (الطباطبائى، ١٤١٧: ج ٤، ١٤٨-١٤٦). وأردف العلامة قائلاً: وكذلك الآية التالية:

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّجِمُوا رَبُّكَ وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود/ ١١٨)

وكذلك الآية التى كانت محور النقاش:

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة/ ٢١٣)

كما لاحظتم أن هذا الخلاف أمر ضروري ونشوءه بين أفراد المجتمع محتوم؛ لأن الخلفة مختلفة بسبب اختلاف المواد. رغم أن الجميع وفقا للمظهر بشر والوحدة في المظهر إلى درجة ما تؤدي إلى توحيد الأفكار والأفعال ولكن الاختلاف في المواد له اقتضاء خاص وهو الاختلاف في الأحاسيس والإدراكات والأحوال.

إذن يتحد الناس من جانب وفي نفس الوقت يختلفون من جانب آخر. والاختلاف في الأحاسيس والإدراكات يسفر عن الاختلاف في الأهداف والآمال. والاختلاف في الأهداف يؤدي إلى الاختلاف في الأفعال، وبالتالي يسفر ذلك عن خلل في النظام الاجتماعي (نفس المصدر، ج ٢: ١٧٧).

الملاحظة الملفتة للنظر في أقوال العلامة الطباطبائي حول هذا الموضوع هي أنه يعتقد بأن الخلاف نابع عن الفطرة ولا يمكن منعه بل يجب تعديله وإصلاحه. في كتاب «القرآن في الإسلام» يشرح كون الخلاف بين الناس فطريا وذاتيا بأن اختلاف البشر ينبع عن العقل مما يعنى أن العقل، نفسه يسبب النزاع والخلاف.

إذن العقل الذى يسبب الخلاف لا يمكنه منع الخلاف، وبناء على ذلك فإن القوانين والنتائج النابعة من العقل البشرى لم تقض أبدا على هذه الخلافات، بل أصبح من الضروري الاعتماد على الوحدة الاجتماعية فى ظل تشريع الدين وظهور الوحي (الطباطبائي، ١٣٧٩: ٨٠؛ الجياشى، ١٤٢٦: ٦٠-٥٨).

يمكن تلخيص آراء العلامة فى هذا المجال فى هذا القول: إن الوحدة الاجتماعية المعقولة فى ظل الالتزام بالدين يمكنها إصلاح الفطرة بالفطرة وتخلص المجتمع وحياء البشر من الخلاف والتفرقة. لأنه كما أن الفطرة اقتضت وحدة واتحاد المجتمعات البشرية، نفس هذه الفطرة تسبب الخلافات بين البشر ومجتمعاتهم والخلاف من الضروريات لحياء الإنسان الاجتماعية، إذن يجب أن يتواجد دين إلهى ووحدة إسلامية من أجل تسوية الخلافات.

نشر الأخوة والإخاء

بما أن المجتمع الإسلامى أسس على أساس العلاقات الودية والمخلصة فتعتبر الأخوة والإخاء من الأهداف المنشودة فى نشر الوحدة الاجتماعية. فى الواقع، تشير الأخوة والإخاء فى الثقافة الأخلاقية للإسلام إلى الشعور بالقرابة والعلاقة القلبية الحميمة بين أعضاء الأمة

الإسلامية. مما يعنى أن الناس يعتبرون المجتمع الذى يعيشون فيه يعود إليهم ويشعرون بالقرابة تجاه الجميع وهذا الإحساس يكون فى سبيل الله سبحانه وتعالى فقط. إذا لم يكن كذلك فسيؤدى الأمر إلى العداوة بينهم فى القيامة(العلامة الطباطبائي، ١٣٨١: ج ١٨، ١٨١ و ٤٧٢).

إن تنظيم العلاقات مع الآخرين على أساس الاتجاه نحو الله تعالى وطلب الحق من أهم الطرق لتوظيف طاقات المجتمع من أجل الارتقاء بالفرد وبالأمّة الإسلامية. روح الأخوة والإخاء هذه تضمن استمرار الصداقات ونشر المحبة ومادامت تجرى نحو الحق ستكون باقية ومؤثرة وتعبّد الطريق لبناء النفس وبناء الآخرين. من آثار الأخوة والإخاء فى المجتمع: بناء مجتمع تعم فيه الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة ويشعر كل الناس بالأمان والاحترام ولا يفكرون إلا فى الرقى، التسامى وتطور أنفسهم ومجتمعهم الإسلامى ويعبّدون الطريق نحو رقى أنفسهم والآخرين(الطباطبائي، نفس المصدر: ٤٧٣؛ ابوالحسنى، ١٣٨٨: ٤٦-٥٢).

بناء روح المحبة والرحمة

بسط الوحدة الاجتماعية على أساس طاعة الله ورسوله وفى ظل العمل بأوامرهما وترك نواهيهما، يحقق هدفا منشودا آخر فى حياة الإنسان وهو بناء روح المحبة والحنان (راجع آل عمران / ٣١؛ التوبة / ١٤). تبادل مشاعر الحنان والمحبة بين الناس(الفتح / ٢٩) يمهّد الطريق لمحبة الله وعطاياه الخاصة للإنسان والمجتمع المؤمن بالله. هذه المحبة تعزز الحنان فى قلوب المؤمنين وتجري فى نفوسهم الفطرة. ومن أجل استخدام ذلك بأسلوب صحيح يجب تعزيز الأحاسيس السامية والإلهية وإزالة العقبات التى تعيق تنميتها وازدهارها مما يعنى يجب تصفية القلب ونزع الضغينة والخلاف منه، وبعد ذلك يسلك الطريق راكبا سفينة العشق الشديد ماضيا نحو الخالق عز وجل(الطباطبائي، ١٣٦٢: المقالة ١٤). إذن يمكن أن نستنتج بأن الوحدة الاجتماعية مع المحبة الإلهية وفى ظل معرفة الحق وتحقق المعايير الأخلاقية فى المجتمع البشرى، تؤدى إلى بناء روح المحبة والحنان بين المؤمنين والأمّة المؤمنة بالله (نفس المصدر).

نشر السكينة والأمان

من أهم المهام القرآنية للوحدة الاجتماعية بجميع أنواعها وأشكالها، الحفاظ على السكينة والأمان في الحياة البشرية والمجتمع الإسلامي وتجنبهم عن الحرب والخلاف والفرقة؛ لأن الوحدة تعزز الشعور بحب الآخرين والتعاون المتبادل وتقضي على جميع الفتن الاجتماعية التي تنبع من الغرور وحب النفس والسعى إلى تحقيق الأفضلية على الآخرين. في الواقع قد ذكر القرآن التفرقة كشفير حفرة من النار التي الوحدة الاجتماعية تزيل خطر السقوط في هذه الحفرة وتوفر الأمن للمجتمع الإنساني (الطباطبائي، ١٤١٧: ج ٣، ٣٧١ « ١٠٣ / آل عمران »).

يجب على الإنسان والأمة الإسلامية والمؤمنة التمسك بحبل الله المتين والعمل بالواجبات الدينية، والالتزام بالحدود الأخلاقية ونشر ثقافة أداء الأمانة والترويج لتحمل المسؤولية والحفاظ على عرض وسمعة الآخرين الاجتماعية والالتزام بالأدب والاحترام للآخرين وتجنب التعصب والكراهية، والابتعاد عن حب الماديات والطمع وكذلك تجنب العداوة مع الآخرين وحب النفس العدواني. هذه الأمور تسبب الحفاظ على الوحدة الاجتماعية وتوفيرها وبالتالي تؤدي إلى نشر السكينة والأمان في المجتمع (راجع العلامة الطباطبائي، ١٣٨١: ج ١٨، ٤٨١-٤٨٧).

الحفاظ على قوة وسطوة المجتمع الإسلامي

قد طلب القرآن الحكيم من المسلمين تعزيز القوى الجسمانية والعسكرية من أجل تخويف الأعداء (الانفال/٦٠). لذلك حذرهم من المنازعات واعتبرها تمهيد الأرضية لفقدانهم السطوة على قلوب الأعداء (الانفال/٤٦).

يبدو أن وحدة المؤمنين واجتماع الإسلام الإنساني في كافة الأصناف على الأصعدة الداخلية والخارجية يؤدي إلى الحفاظ على هذه الهيمنة والسطوة. وإذا أراد المسلمون الحفاظ على هذه القوة والهيمنة على الصعيد العالمي فالسبيل الوحيد لهذا الأمر هو الالتزام بالوحدة والاتحاد (الطباطبائي، ١٣٨١: ج ٧، ١٥١؛ سلطاني رناني، ١٣٨٦: ١٤٢؛ محمدى آشناني، ١٣٩٢: ١٧٤ و ٢٥٦-٢٥٥).

أسباب الخلاف وحلول لإزالته

العلامة الطباطبائي (رحمه الله) يعتبر الالتزام بالقيم العقائدية والعملية للإسلام أمراً ضرورياً لنشر الوحدة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي ويعتقد بما يلي:

في المجتمع المثالي المقبول الذي يهدف القرآن إليه، لا تعتبر الوحدة والتماسك الاجتماعي شعارات وتوصيات أخلاقية محضة بل هي مبادرة عملية أجراها الله في كافة الشؤون الاعتقادية، الأخلاقية والعملية وفقاً لخطة ومسار رئيسي وكذلك فإن الخالق عز وجل قد قام ببناء ثقافتها في شؤون دينه كافة (الطباطبائي، ١٤١٧: ج ١، ٣٤٢-٣٤٠). في القرآن الكريم بالإضافة إلى تحديد مسار وتعزيز أسباب الاتحاد، تم ذكر أسباب التفرقة على أنها آفة اجتماعية تضرب الوحدة الاجتماعية وطرح حلولاً ملموسة وعملية لدفع مضارها (راجع نفس المصدر).

وقد أشار *العلامة الطباطبائي* في بيانه لأسباب الخلاف والتفاوت إلى "الفوارق والاختلافات في الصفات الأخلاقية والشخصية والفوارق الدينية والمذهبية وكذلك الفوارق في العمل والتصرف والفوارق الناتجة عن الأسباب الخارجية." وقد أشار إلى حلول للوقاية منها وكذلك طرق للتخلص منها ومحاربتها:

فيما يخص الحالة الأولى فقد اعتبر أن الحل لهذا التحدي الخطر يمكن في التربية الدينية للأشخاص، ويقول: «التربية الدينية لها ميزة تزيل كل هذه الخلافات» (نفس المصدر، ج ٤: ٢١٧).

ثانياً فقد اعتبر أن الفهم المنهجي للمعارف الدينية في الشؤون الاجتماعية معيار ومرجع لإزالة الخلافات، ويعتقد بأن في مجتمع آخر الزمان بسبب وجود الإمام المعصوم واتباع الآخرين له ينشر فهم واحد وصحيح للمعارف الدينية وهذا الفهم لن يقبل الخطأ. وفي المجتمع المثالي في زمن الغيبة يوجد فهم صحيح ومنهجي للمعارف الدينية في الشؤون الاجتماعية وذلك بفضل حكم الولي الفقيه الجامع للشرائط وإشراف الخبراء وعلماء الدين طبقاً للضوابط النزيهة والشفافة تماماً (نفس المصدر، ج ١: ٣٤٣).

ثالثاً قد اعتبر نشر الثقافة الدينية في المجتمع وتجديدها بصورة مستمرة، حلاً لمواجهة الحرب المقامة ضدها ويعتقد بأن القرآن قد كلف جميع أعضاء المجتمع ليدعوا الآخرين إلى الخير وفي حال عدم إصلاح رؤوس الفساد والمفسدين يجب معاقبتهم ونبذ

مثيرى الشبهات ليتم منعهم عن قيادة المجتمع ولعب دور فيه(راجع نفس المصدر، ج ٤: ٢٢١-٢٢٠).

رابعاً يعتقد بأن الخلاف ناتج عن البعد من محل السكن وعدم إمكانية الحصول على المعارف الدينية الحقيقية أو الخرف والعجز عن الفهم والإدراك الصحيح للحقائق الدينية. وقد اعتبر أن إزالة هذه الآفة يتوقف على استعمال الطريقة العملية التى وردت فى الآية ١٥٣ من سورة أنعام. وهى اتباع الصراط المستقيم الإلهى وتجنب الحلول الأخرى. وكذلك قد ذكر حلاً آخر فى هذا الشأن وهو حاجة المجتمع إلى تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفريضة وفى شرح الآية ١٠٤ من سورة آل عمران، اعتبر أن تشكيل فرق خاصة لتنفيذ هذه الفريضة أمراً هاماً، ويجب الالتزام بالوحدة من جانب والنهي عن التفرقة والخلاف من جانب آخر، ووفقاً لوحدة السياق فإن ذلك يدل بوضوح على الدور الرئيسى للتثبيت والتماسك الاجتماعى.

وسبب ذلك يعود إلى أنه فى المجتمع الإنسانى كل فرد من أعضاء المجتمع بفضل إدارته لضرورة وأهمية الدور الاجتماعى للوحدة يعتبرها مصداقاً من المعروف ويهتم بها، ونظراً إلى الخطر الكبير والمدمر للتفرقة والخلاف أعضاء المجتمع يعتبرهما أعضاء المجتمع أكبر مصاديق المنكر وينهون عنهما. وتتوفر الأرضية لنشر الوحدة ونفى الخلاف من خلال التزام الجميع بمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الهامة(راجع نفس المصدر، ج ٤: ٢١١-١٩٥؛ الجياشى، ١٤٢٦: ٧٢-٥٥).

نتيجة البحث

الجمل التالية تلفت الانتباه إليها باعتبارها نتائج لهذه المقالة:

١. حسب وجهة نظر العلامة الطباطبائي يُعتبر بناء الوحدة ونشرها إحدى المهام الاجتماعىة للقرآن.
٢. من دأب القرآن أن الله يأمر بتذكُّر نعمة الوحدة و الاتِّحاد، لتكون الدعوة للوحدة الاجتماعىة على أساس الخير والهداية الصحيحة بدلاً عن الأمر بالتقليد الأعمى.
٣. قد ذكر العلامة الطباطبائي الوحدة الاجتماعىة كقدرة وأدات أولية فى حياة الإنسان وقد اعتبر تنمية التعاون الاجتماعى، تخلص المجتمع من التفرقة والاختلاف، نشر الأخوة

والإخاء، بناء روح المحبة والحنان، بسط السكينة والأمن، الحفاظ على قوة المجتمع الإسلامى وهيمنته من الواجبات الهامة لهذا المحور القرآنى.

٤. قد ذكر العلامة الطباطبائى الاختلاف والتباين فى الصفات الأخلاقية والشخصية، الاختلاف فى الدين والمذهب، الاختلاف فى التصرف والعمل والخلافات الناتجة عن العوامل الخارجية كأسباب للتفرقة وآفات فى طريق تحقق الوحدة الاجتماعية. وقد أشار إلى الحلول العملية للتخلص من هذه الآفات ومحاربة التفرقة: نشر التربية الدينية فى المجتمع، الاتباع الدائم للصراف المستقيم وبالتزامن مع نشر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع الإسلامى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ابن فارس، احمد. ١٣٨٩ق، معجم مقاييس اللغة، حققه عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل.
- جوادى الأملى، عبدالله. ١٣٨٩ش، المجتمع في القرآن، قم: مركز الاسراء للنشر.
- حكيم، سيد محمداقر. بي تا، الوحدة الإسلامية في القرآن والسنة، طهران: مؤسسة تبيان الثقافية.
- الخورى الشرتونى، سعيد. ١٤٠٣ق، أقرب الموارد، قم: مكتبة آية الله مرعى.
- دهخدا، على اكبر. ١٣٧٣ش، القاموس، تحت إشراف محمد معين وسيدجعفر شهيدى، طهران: دار نشر جامعة طهران.
- رازى، ابوالفتوح. ١٣٧٥ش، تفسير روض الجنان وروح الجنان، حققه محمداقر ياحقى، مشهد: دار نشر الروضة الرضوية.
- راغب اصفهانى، حسين بن ابوالقاسم. ١٤١٢ق، المفردات فى غريب القرآن، بيروت: دار الشامية.
- ساروخانى، باقر. ١٣٧٠ش، موسوعة العلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، طهران: دار نشر كيهان.
- سلطانى رنانى، سيد مهدي. ١٣٨٦ش، نظرة إلى مكانة ومفهوم الوحدة الوطنية فى القرآن، نشرة طلوع الفصلية، رقم ٢٤، قم: مدرسة الإمام الخمينى العليا.
- الطباطبائى، سيد محمدحسين. ١٤١٧ق، الميزان فى تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الاعلمى للمطبوعات.
- الطباطبائى، سيد محمدحسين. ١٣٦٢ش، نهاية الحكمة، قم: مؤسسه نشر الاسلام.
- المجلسى، محمداقر. ١٤٠٣ق، بحار الأنوار، بيروت: مؤسسة الوفاء.
- محمدي آشنانى، على. ١٣٩٢ش، المجتمع المثالى من منظور القرآن الكريم، الطبعة الأولى، قم: دار نشر بوستان كتاب.